وهذه النغمة تتردد في أكثر مراثيه فيقول في رثاء الفقيه علي بن حسين البجلي:

فما أنا في طيب الحياة براغب ولا أنا عن حب الممات بزاهد

وكان ابن المقري قد رثا ابنته زينب فقال :

تولت فما من مطمع في لقائها أمني به الباكين يوم انتوائها

ويذكر من محاسنها محافظتها على الحجاب وعدم تبرجها وخروجها من البيت:

ولا برزت من خدرها لتنزه ولا راودت جارانها من خبائها
ولا امتدت الايدي اليها مشيرة ولا قيل هذي زينب في نسائها
ولو لم أنوه باسمها بعد موتها لكان خفيا مثله في بقائها
لقد كنت أخفي في الحجاب من السها على مقلة والشمس حال استوائها

ويلقي نظرة على أولادها الذين تركتهم وراءها فيقول :

وخلفت أولادا كزغب من القطا تدافعهم بالكره أيدي إمائها
لقد ضاع طفل غاب عن عين أمه وان خلفنها غيرها في اعتنائها

وكما رثى الشعراء أقاربهم وذويهم نجدهم قد رثوا الشيوخ والعلماء وهذا الشاعر ابن المقري يصور حسرة الطلبة على فقيدهم العلامة النحوي عبد اللطيف ابن أبي بكر الشرجي فيقول على لسانهم :

يا شيخنا في كل علم اننا مثل اللامذة اليتامى في وصب
الضائعون اليوم والباكون من أخذ لشخصك مغتصب

ويعدد مناقبه فيقول :

العالمُ الوضاح والبحر العباب الزاخر الامواج والغدق الصبب
والفذ في العلماء والفضلاء في تصوير مسألة بلفظ أو كتب
الناسك - الأواب والوهاب والرَّ غاب في بذل الرغائب والقرب